

الحلقة التسعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل يستطيع أحد أن يدعي أنه لم يفعل خطيئة واحدة في حياته؟ وهل من الممكن أن لا يخطئ الإنسان أبداً؟ أي لا يخطئ في الفكر والقول والعمل؟ بالطبع إن هذا أمر مستحيل. وما هو عقاب الخطيئة؟ وهل هناك من غفران؟ جرت حادثة مثيرة مع المخلص المسيح تكشف لنا حقيقة هذا الأمر، وتجيبنا عن هذه التساؤلات.

فبينما كان المخلص المسيح يعلم الجموع في الهيكل، «قَدَّمَ إِلَيْهِ الْكَتَبَةَ وَالْفَرِيسِيُّونَ امْرَأَةً أُمْسِكْتَ فِي زَنَا. وَلَمَّا أَقَامُوهَا فِي الْوَسْطِ قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، هَذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسِكْتَ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ، وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنْ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمُ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟» قَالُوا هَذَا لِيُجَرِّبُوهُ، لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى إِلَى أَسْفَلِ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإِصْبَعِهِ عَلَى الْأَرْضِ. وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ، انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيُرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!» ثُمَّ انْحَنَى أَيْضًا إِلَى أَسْفَلِ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى الْأَرْضِ. وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّئُهُمْ، خَرَجُوا وَاحِدًا فَوَاحِدًا، مُبْتَدِينَ مِنَ الشُّيُوخِ إِلَى الْآخِرِينَ. وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ وَالْمَرْأَةُ وَاقِفَةً فِي الْوَسْطِ. فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى الْمَرْأَةِ، قَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، أَيْنَ هُمُ أَوْلِيكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكَ؟ أَمَا دَانَكَ أَحَدٌ؟» فَقَالَتْ: «لَا أَحَدٌ، يَا سَيِّدُ!» فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «وَلَا أَنَا أَدِينُكَ. اذْهَبِي وَلَا تَخْطِي أَيْضًا» (بشارة يوحنا ٨: ١-١١).

إنها بالفعل قصة دراماتيكية مؤثرة. فلقد أتى الفريسيون بامرأة زانية أمسكت بذات الفعل، وكان هدفهم هو أن يجربوا المسيح. سننأمل الآن بهذه الحادثة فابقوا معنا أصدقائي.

تكشف لنا هذه الحادثة المؤثرة مستمعي عن الفرق الكامل بين شريعة العهد القديم من جهة ونعمة الله ومحبتة لجنسنا البشري من جهة أخرى في العهد الجديد. فبحسب شريعة العهد القديم التي أعطها الله لكليمه النبي موسى، يجب أن يُعاقب الزاني والزانية بالرجم حتى الموت. وهنا أراد الفريسيون والكتبة رجال الدين اليهود في ذلك الزمان، استغلال نص الشريعة ليوقعوا المخلص المسيح بالفخ.

فإن سامح الزانية يكون قد خالف الوصية، وهو الذي يدعي أنه قد أرسل من قبل الله، وعندها يكون لهم ما يشكون به عليه. وإن وافق الشريعة لا يكون قد أتى بأمر جديد، ولهذا تصيح نبوته باطلة.

لكن المخلص المسيح وكعادته واجه الفريسيين والكتبة بكل حكمة. وانحنى إلى أسفل يكتب بأصبعه على الأرض. ولما كرروا السؤال عدة مرات رفع رأسه وقال لهم: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيُرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!» ثُمَّ انْحَنَى أَيْضًا إِلَى اسْفَلٍ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى الْأَرْضِ». أجل، هذا هو جواب المسيح البليغ على هؤلاء الذين أتوا لكي يجربوه: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيُرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!» وكان المسيح يقول لهم: صحيح أن هذه المرأة قد أخطأت وتستحق الرجم. لكن هل يوجد بينكم من هو بلا خطيئة؟ وإذا كان هناك من هو بلا خطيئة يحق له أن يرمي أولاً الحجر على هذه المرأة.

حقاً، إنه جواب مدهش وبليغ، يكشف عدة حقائق هامة. وأول هذه الحقائق وأهمها أن جميع البشر خطاة، وأنه ليس هناك من هو بار. وأن الله قد أعطى الشريعة في العهد القديم لكي يحدد قواعد السلوك لشعبه في القديم، ويمنع من استفحال الجريمة والفساد. لكن الله في نفس الوقت هو إله المحبة والرحمة. ويقول بعض المفسرين أن المسيح كان يكتب خطايا هؤلاء الناس على الأرض، لكي يؤكد لهم أنه هو فعلاً المسيح ابن الله الحي، الذي أرسله الله لخالص البشرية. وأنه بالتالي يعرف أسرار وخبايا كل واحد منهم. ولهذا كتب البشير يوحنا أن ضمائرهم أخذت تبتكتهم، «وخرَجُوا وَاحِدًا فَوَاحِدًا، مُبْتَدئينَ مِنَ الشُّيُوخِ إِلَى الْآخِرِينَ».

صديقي المستمع، وبعد أن خرج أولئك الفريسيون والكتبة، بقي يسوع المسيح وحده والمرأة التي أمسكت بالزنا واقفة في الوسط. وعندما وقف المسيح وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى الْمَرْأَةِ، قَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةَ، أَيْنَ هُمُ أَوْلَئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكَ؟ أَمَا دَانَكَ أَحَدٌ؟». فَقَالَتْ: «لَا أَحَدًا، يَا سَيِّدِي!». نعم مستمعي إن الإنسان الخاطئ لا يحق له أن يدين أحداً، ولا أن يسامح أحداً. إذ عليه هو أولاً أن يتحمل نتيجة خطيته هو وعقابها. لكن المسيح المخلص وهو البار الذي لم يفعل خطيئة، هو وحده الذي يقدر على مسامحة الإنسان وعدم إدانته. ولهذا قال للمرأة الزانية: «وَلَا أَنَا أَدِينُكَ. اذْهَبِي وَلَا تُخْطِي أَيْضًا».

هنا نجد الفرق الهام بين شريعة العهد القديم ومبادئ العهد الجديد. إن شريعة العهد القديم بقوانينها الصارمة تدين الإنسان. ففي حالة خطية الزنا مثلاً إن عقاب من يخطئ هو الرجم حتى الموت. ولنلاحظ أن الرجم يجب أن يكون للطرفين الرجل والمرأة، وليس للمرأة وحدها، بينما أتى الفريسيون للمسيح بالمرأة فقط. وفي المقابل إن مبادئ العهد الجديد تؤكد على محبة الله ورحمته وغفرانه

للإنسان الخاطيء، ومهما كانت خطاياها عظيمة وكبيرة. فإن تاب عن خطاياها، وآمن بفداء المسيح له على الصليب، يرحمه الله ويغفر ذنوبه. لا بل يصبح من أولاد الله الذين يحق لهم الحياة الأبدية.

لهذا نجد أن المسيح سامح المرأة الزانية لأنه أراد أن يكشف لليهود ولهذه المرأة، أنه قد أتى إلى عالمنا لكي يعلن محبة الله ورحمته للناس الخطاة، لا لكي يدينهم. وليس هذا فحسب بل إن المسيح نفسه هو الذي سيأخذ عقاب الخطاة بدلاً عنهم بموته الكفاري على الصليب وقيامته الظاهرة من بين الأموات.

هل هناك مستمعي أعظم من هذه الهبة أو العطية المجانية التي يقدمها الله لك؟ أن تتال غفران خطاياك ومهما كانت كبيرة، فقط بالتوبة عنها وبالإيمان بالمخلص المسيح؟ أولاً تود أن تحصل أنت أيضاً على غفران خطاياك وأن تصبح من أولاد الله؟ لم لا تؤمن الآن بهذا المخلص الوحيد الفريد؟